الناقد المعاصر بين مطرقة الحداثة وسندان التراث

دراسة لبعض قراء عبد القاهر المعاصرين

د.أيسرمحمد فاضل الدبو

توطئـة:

ربما يكون العنوان غريبا ولكن ما يحدث في الساحة التقدية العربية يعد أكثر غرابةً بكثير مما يشير اليه العنوان فالناقد المعاصر ينظر الى التراث بين الحداثة والمعاصرة متحمسا احيانا لحضارته وتراثه فيقع في اجتهادات ومزالق ذهبت بالنقد العربي المعاصر بعيدا ونربل أننا نرى في كثير من الأحيان أن الناقد يسقط المفاهيم الحداثوية على التراث وان كان الأخير يرفضها لاختلاف البيئة التي نبتت فيها المفاهيم والاتجاهات الحديثة وبعدها تماما عما يدور في تلك البيئة وفي ذلك الزمن ، ولعل عبد القاهر هو من يقف على رأس الهرم الذي يمثل التراث العربي على الرغم من وجود كثير غيره من نقاد وفلاسفة ولكن كثرة دارسيه المعاصرين جعلتني الآحقهم هنا وهناك متناولا افكارهم من خلال كتبهم التي يكون عبد القاهر فيها بطل روايتهم .

أبتدأت من الدكتور عبد العزيز حمودة ومرورا بالدكتور الغذامي والدكتور محمد عبد المطلب وأنتهاءً بالدكتور العمايرة وكان المعيارية في الأختيار هو نوعية قراءاتهم للجرجاني والتي تدور حول إثارة الرؤى الحداثوثية المعاصرة ومن هنا وجدت منهم من دارت دراسته بمفردة واحدة حاول ايجاد صورتها عند عبد القاهر ولعل من يقف على رأس هذا الدكتور العمايرة وهو يبحث عن التقريب بين عبد القاهر وتشومسكي وقضية النحو التعقيدي والتوليدي ومنهم من لم يكتف بالمفردة فأخذ يقلب الاتجاهات والنظريات المعاصرة ليجد صورها عند عبد القاهر كالدكتورحمودة والغذامي ،سنقف في هذا البحث الى دراسة وصفية اولا لما تناوله هؤلاء الباحثين وثانيا مناقشا ومعللا لآرائهم النقدية للوصول الى رؤية يمكن من خلالها إعطاء صورة للقارئ .

د. عبد العزيز حمودة : المرايا المقعرة

بداية جاء" كتاب المرايا المقعرة" للدكتور عبد العزيز حمودة تالياً لمحاولة سابقة اقتحم صاحبها غمار النقد الأدبي سماها" المرايا المحدبة"، والتي صدرت أيضاً ضمن سلسلة عالم المعرفة الكويتية، وقد وجه فيها المؤلف نقداً لاذعاً للبنيويين العرب الذين طبقوا منهجاً غريباً على النصوص العربية دون مراعاة لخصوصية تلك النصوص، وقد كشف الملابسات والعوالق التي لحقت بهذا المنهج في الغرب والشرق على حدٍّ سواء، واجتهد في بيان قصور هذا النهج، وبغض النظر عن ردة الفعل التي أثارها الكتاب آنذاك بين أوساط النقاد والمثقفين، والتي اتفق معظمها على أن المؤلف لم يوفق في فهمه مبادئ البنيوية على النحو الصحيح، إضافة إلى تعثره بصورة واضحة في تلخيص التيارات النقدية التي توافق أو تخالف النهج البنيوي، فإن د. حمودة أصرَّ على أن يقدم بديلاً على هيئة نظرية نقدية في كتابه هذا الذي سماه "المرايا المقعرة"، وقد ذكر أن التقعر هنا يجعل الأشياء المنظورة في المرآة أصغر حجماً من التحدب الذي يُري الأشياء كبيرة، وفي ذلك تلميح لتجنبه المبالغة والتضخيم، أو أنه سيقدم الحقائق عارية خوفاً من الاتهامات التي غلفت كتابه الآنف.

وإن متأمل خطة كتاب "المرايا المقعرة" يجدها موزعة في جانبين اثنين وكل جانب مؤلف من فصلين، فالجانب الأول يتصدى لمشكلة الحداثة وما تنطوي عليه من عداء للتراث، وينتقل بُعيد ذلك إلى ما يسميه "ثقافة الشرخ" يتناول فيه أفكاراً كثيرة يخرجها بهيئات من الألفاظ التي لا تنحصر، وهي في أغلبها مسلماتٌ لا تحتاج إلى هذا الكم الهائل من اللفظ، ثم يخرج المؤلف في الفصل الثاني إلى نتائج تشي بأنه

قام باستقراء نتاج من سبقه في النقد الأدبي الحديث، ثم صنفه وقومه مصدراً حكمه القاطع عليه وهو حكم سلبي من وجهة نظره، وهذا بالطبع يوجب عليه إعادة النظر في الممارسات النقدية الحديثة على أساس جديد، يحاول رسمه على النحو الذي يراه صحيحاً ومجدياً.
وفي الجانب الثاني من الكتاب يكشف المؤلف عن أصول نظرية لغوية على غرار النظرية اللغوية الحديثة التي قدمها دوسوسير، تستمد عناصرها من التراث اللغوي والبلاغي العربي، وهي في حقيقة أمرها بديل عن نظرية دوسوسير التي قام عليها النقد الحداثي، وبما أن هنالك إمكانية لتأسيس نظرية لغوية عربية أصيلة، فإن تلك الإمكانية أيضاً تسعف على تأسيس نظرية نقدية عربية أصيلة تضع حداً للأزمة التي يعيشها النقد العربي المعاصر من وجهة نظر المؤلف بالطبع.

و يشير حمودة صراحة في "المرايا المقعرة" إلى أنه سيقرأ نظرية النظم العربية بخلفيات حداثية، ليرى إن كانت تنقصها أية إضافات حداثية ذات أهمية تبرز تجاهلها والاتجاه كلية نحو منتجات العقل الغربي الحديث .[1]كما يستحضر حمودة دائما هاجس المقارنة بين النظرية الغربية الحديثة والنقد العربي القديم، وقد أكد عدة مرات أن العقل العربي قد عكف منذ القرن الهجري الثالث وحتى نهاية القرن الخامس على تطوير نظرية لغوية لا تختلف في مكوناتها كثيرا عن مفردات علم اللغويات الحديث، والاختلافات القائمة . كما يشير . بين علم اللغة العربي وعلم اللغة الأوروبي الحديث خلافات منطقية؛ فقد طور العرب مدرستهم اللغوية قبل الغرب بعشرة قرون على الأقل[2] وقد أصاب حمودة في جوانب من كلامه هذا، إلا أن ما ليس بريئا هو اعتباره للعامل الزمني محددا وحيدا للاختلاف بين النموذجين اللغويين العربي والغربي، وفي هذا سكوت عن عوامل حضارية وثقافية أهم بكثير، وقد نحا حمودة هذا المنحى لكي يبرر نسبة الكثير من المنجزات الحقيقية التي أتى بها النموذج اللغوي إلى اللغويين العرب.

ويضعنا الدكتور ومنذ البداية الى حقيقة مفادها أن الزوائد – كما يرى– التي جعلت الساحة النقدية مملوءة بكثير من التناقضات والآراء فبمجرد ان تطلب الدليل في صحة وجودها تجد التأويلات المتباينة واراء المختلفة التي تحلل وتناقش هذه الزوائد من وجهة نظر الدكتور ... ويعلم الباحث كما اننا موقنون أنه ليس من السهولة المحاولة الهدم والبناء في آن واحد ومن هنا بدأ الدكتور كتابه (المرايا المحدبة) رؤية في الوقوف مع المشروع الغربي الحداثوي وكشف زيف التناقضات التي ولدتها الحضارة الأوربية وما يعلوها من وهن وتفكك جعلت الناقد العربي يسير خلف سراب كلما اراد الوصول اليه يحسبة ماء فاذا به سرابا فهو يرى في الحداثة غذاء يُستقى من منابع المسيحية واليهودية ولذلك تسائل في دراسته هذه ("أي حداثة نعني" حداثة الشك الشامل وغياب المركز المرجعي واللعب الحر للعلامة ولا نهاية الدلالة ،ولا شي ثابت ولاشيءٌ مقدس .. والاجابة نحن بحاجة الى حداثة حقيقة ..ولكنها يجب ان تكون حداثتنا نحن وليست نسخة شائهة من الحداثة الغربية))[3].
كتاب الدكتور حمودة الجديد (المرايا المقعرة) هي محاولة لتأسيس نظرية عربية يضع الباحث أمام بصره أن مثل هذا العمل يحتاج الى غربلة دقيقة وتنقية واعية لتراثنا العربي[4]فهو يقارن بين صورتين ، صورة الغرب المستلهمين لتراثهم وكأنهم على خط واحد وصورة من النقد العربي المعاصر بمحطاته الثلاثة عند (بداياته ومنتصفه ونهاياته) فهو يشكل مرحلة الخطورة في التعامل مع التراث ((... ومن نافلة القول هنا التذكير بأن المواقف عند هذه المحطات الثلاث تتباين وتتداخل وتتزامن من بين رفض لايخلو من الحدّة للتراث العربي القديم مع انبهار بالفكر الغربي الى دعوة صريحة الى تحقيق قطيعة معرفية مع التراث، قبل تحقيق تحديق العقل العربي ثم لمحاولة لإمساك العصا من منتصفها بين التراث العربي والحداثة الغربية))[5] هذه الصورة مناقضة لسير النقد الغربي الذي يتجه باتفاق مع التراث فهم ((لا ينادون بالانفصال عن الحداثة الغربية))[6] ومن هنا نقطة الاختلاف ، فهم ينطلقون من حلقات تصل احداها الأخرى في فكرهم

---

[1]) المرايا المقعرة (نحو تأسيس نظرية عربية نقدية): ٢٢٨.
[2]) المرايا المقعرة: ٢٤٣
[3]) المصدر نفسه:١١
[4]) المصدر نفسه :١٩٧.
[5]) المصدر نفسه :١٦٦.
[6])المصدر نفسه :١٧٥.

الفلسفي وهو ما لا يمكن جرّهُ إلى النقد العربي ويناقش الدكتور بعض المعاصرين في قراءاتهم للجرجاني من قبيل قراءة الدكتور كمال أبو ديب لعبد القاهر الجرجاني ، ثم قراءة الدكتور جابر عصفور لابي ديب ، ((ويزعم بعض الحداثيين ـ مثل كمال أبي ديب ـ أنه يُقدم مذهباً عربيا أصيلاً في البنيوية مستقلاً عن النسخة الغربية، ويفوق ما قدّمه الفرنسيون، ويرى عبد العزيز حمودة أن هذا الكلام ادّعاء كبير وأنه في أكثر من موقع في تحليله للشعر الجاهلي يقترب من التحليل الغربي، ويضرب أمثلة على ذلك))[1] هذه المواقف أثارت تشكيك الدكتور عبد العزيز فهذه الدراسات إثبات((صحة اتجاهه البنيوي –عبد القاهر– وليس العكس))[2]أي إن التراث النقدي يثبت صحة المشروع البنيوي او أي مشروح حداثي آخر.

يرى الدكتور حمودة أن عدم قيام نظرية عربية نقدية هو نتيجة التحول في النقد الغربي والذي يتمثل في اتجاه الحداثة ثم مابعد الحداثة الغربيتين فالتحول خلق فراغا في ((الساحة الثقافية العربية من فكر لغوي ونقدي ...، ثم إن الفوضى التي جاءت مع الحداثة وما بعد الحداثة خلقت هي الأخرى فراغا جديدا وأكدته..))[3] والجدير بالذكر ان الباحث بعد ان يعرض ويقف على ابرز العلل في عدم قيام نظرية نقدية عربية يضع لنا الحل من خلال طرح البديل في (النظرية الجرجانية) وهو يحاول من خلال ما طرح للاقتراب بعبد القاهر الجرجاني من المفهوم الغربي المعاصر غايةً منه في ابراز مكانته النقدية فهو يرى في نظرية النظم انها تجمع ((كل مفردات النسق الحداثي))[4] بل يذهب الدكتور ابعد من ذلك حين يرى ان النسق في الاطار البنيوي لاجديد فيه ((فالنسق او النظام "system" في المنظور الحديث بل البنيوي لا يضيف الكثير الى مفهوم النظم كما تراتب النقاد العرب على شرحه قبل عبد القاهر الجرجاني وبعده ..))[5] وهذا على عكس ما قدمه بياجيه من وصف لمفهوم البنيةوالتي يعدّها((تعريفا شاملا للبنية باعتبارها نسقا من التحولات : " يحتوي على قوانينه الخاصة ، علما بأن من شأن هذا النسق أن يظل قائما ويزداد ثراء بفضل الدور الذي تقوم به هذه التحويلات نفسها ، دون أن يكون من شأن هذه التحولات أن تخرج عن حدود ذلك النسق أو أن تستعين بعناصر خارجية ، وبإيجاز فالبنية تتألف من ثلاث خصائص هي : الكلية totalité و التحولات transformations وبالضبط الذاتي auto-reglage))[6]من هنا نتساءل أين مفهوم النظم في المنظور البنيوي؟ فلا نرى مع الدكتور شرحا وافيا في بحث الإطارين النظريين بل أكتفي بالاقرار بوجود التشابه بعيدا عن التفاصيل ولعل من المهم إدراك اختلاف الغاية بين التصور الغربي لمفهوم النسق الذي يقصده عبد القاهر وهو مفهوم ينصب بالبحث عن التاليف والضم في اطار الجملة ((فينبغي أن ينظر الى الكلمة قبل دخوله التأليف ، وقبل ان تصير الى الصورة التي يكون بها الكلم : اخباراوأمراونهيا واستخباراً وتعجبا وتؤدي الجملة معنى من المعاني التي لاسبيل الى افادتهاإلا بضم كلمة الى كلمة ..))[7] في حين يرى شولز بأن النسق ليس له وجود حسي– وهو ما عرضه الدكتور– وأنما هو الذي يحكم تحقيق المعنى في الأنساق الفردية ثم في الجملة أي بين جملة وجملة وصولا الى النص باكمله[8] ...فالنسق يدرس بنيائيا في اطارالقوانين العامة ((.... فأي نظام إنساني لكي يصبح علما علما يجب ان ينتقل من الظواهر التي يسجلها إلى النسق الذي من الكلام إلى اللغة ...))[9] وهو مفهوم سمح للبنية الانتقال مع دراسة الإنسانيات والعلوم المختلفة بما فيها الهندسة ، في حين ان التركيز عند عبد القاهر كان على الإبداع وقوانيه الذي يشكل المبدع الدور الأهم وهو مدار النظم ومحورها الرئيسي لذلك اخذ يوسع هذا المفهوم ويتكلم عن الآليات التي من خلالها نتوصل اليه وهي تمثلت بالنحو

---

١) المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك" الذي أصدرته سلسلة "عالم المعرفة" الكويتية، في العدد (٢٣٢)، الذي صدر في ذي الحجة ١٤١٨هـ–إبريل ١٩٩٨م:١١–١٢.

٢)المرايا المقعرة : ١٧٦.

٣) المصدر نفسه: ١٩٥.

٤) المصدر نفسه : ٢٦٦.

٥) المصدر نفسه : ٢٦٦.

٦) ينظر الموقع: http://thaqafa.sakhr.com/motanaby/manaheg/0027.asp

٧) دلائل الاعجاز : ٤٤. علق عليه محمود محمد شاكر مكتبة الخانجي ط٥– ٢٠٠٤م.

٨) ينظر: المرايا االمقعرة : ٢٣٩.

٩) المصدر نفسه : ٢٦٦.

والسياق والتعليق وإختيار المفردات ...فهو على سبيل المثال يقف مع النحو ليبين ((موقف عبد القاهر المبدئي من النحو موقفا لا يقبل النقض،فالنحو عمود النظم وشرط تحقق الدلالة ...))[1]ويعود إلى تأكيد الدور العربي في إيجاد الكثير من المفاهيم النقدية المطروحة الآن على الساحة معترضا مرة أخرى على قراءة أبي ديب والغذامي فهما يشتركا في هدف واحد ((الأول أحال الفكرة إلى اسم أجنبي كلما أمكن ذلك ، أما الثاني فهو يتعمد الغموض والإبهام))[2] هذا التصور الذي يفصح عنه الدكتور عبد العزيز جاء نتيجة التفات الدكتور الغذامي الى أن دور (الأختياروالتوزيع) في جمالية الأسلوب يعزو الى ياكبسون محاولاً التتبع في إيجاد إثارة بعيداً عن التراث العربي وفي الوقت نفسه يجد آبا ديب منهمكاً هو الآخر في الغموض لمفهوم (الأختيار والتوزيع) من خلال تعبيرات الناقد البنيوي.. [3] أن تجاهل الباحثان للدور العربي في إطار الحداثة كما يرى الدكتور يكمن في اللفظ فالألفاظ بين المعاصرة والتراث بطيعة الحال مختلفة ومن هنا اختلاف اللفظ ناشئ بين عبد القاهر والمعاصرين من رأي د.عبد العزيز((فالمصطلح المتكرر في وصف العلاقة :العلاقة الأفقية ،وهي محور النظم الحقيقي هو (الجوار) أحيانا و(الضم) أحيانا أخرى... أما المحور الرأسي فالمصطلح الشائع بين البلاغيين العرب هو (الأختيار) وهو يؤدي المعنى الحديث بالكامل ...))[4] وبهذا المفهوم يقترب عبد القاهر من الأوربيين وتنظيراتهم ولا سيما ريتشاردز الذي ألف مع أوجدن كتابه (معنى المعنى)..[5] وكذلك الحال في طرح عبد القاهر لمفهوم اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول ثم بيان تلك الاعتباطية [6] والتي أحدثت أحدثت في النقد العربي –كما يرى د.حمودة– قفزة نوعية في نظريته اللغوية (النظم) وذلك بالقضاء على ثنائية (اللفظ والمعنى) والتي شغلت كبار النقاد من أمثال الجاحظ وأبن قتيبة وهذه النظرة الجرجانية تقترب من المفهوم المعاصر ((بما سيؤكده اللغويون المحدثون من أن العلامة اللغوية بشطريها الدال والمدلول مثل ورقة لا نستطيع فصل وجهها الأمامي عن وجهها الخلفي.)) [7] وهو ما يترجم عند دي سوسير أن ((العلامة اللسانية في نظر دي سوسير هي وحدة النظام وهي العنصر اللساني الذي يتكون من صورة سمعية ومفهوم أي الفكرة التي تقترن بالصورة السمعية فعلى سبيل المثال كلمة / رجل / هي علامة لسانية مكوّنة من صورة سمعية وهو الإدراك النفسي لتتابع الأصوات (ر–ج–ل)، ومفهوم وهو مجموع السمات الدلالية – (حي–ناطق–عاقل–إنسان–ذكر–راشد..)))[8]وهذه العلامة هي ((مركب يتكون من وجهين: دال ومدلول يستحيل الفصل بينهما لأنهما يرتبطان بعلاقة تواضعية التي يرى دي سوسير أنها علاقة اعتباطية أي علاقة غير معللة))[9] أي كما يرى دي سوسير((أن العلامة هي تقسيم للواقع عن طريق التواضع بمعنى الاتفاق والاصطلاح عكس المفهوم العفوي لدى المتكلم الذي يرى العلامة اللسانية كأنها إسم للواقع)).[10] وهذا ما دفع الدكتور حمودة الى القول ان عبد القاهر قد وضع قدمه على القرن العشرين وهو ينقض مفهوم اللفظ والمعنى محولا المفهوم إلى نظم وصياغة وتآلف بين الألفاظ والكلمات فالقصيدة هي نتاج وليد عن ترتيب المعاني كما هي في العقل بنسق لغوي منظم..[11] .

---

[1]) المصدر نفسه : ٢٤٦

[2]) المرايا المقعرة: ٢٥٠.

[3]) ينظر: المرايا المقعرة: ٢٤٨–٢٥٠

[4]) المرايا االمقعرة: ٢٥٥.

[5]) المصدر نفسه : ٢٥٠.

[6]) ينظر:المصدر نفسه : ٢٥٨–٢٥٩

[7]) المصدر نفسه : ٢٧٧..

٨) العلامة في اللسانيات : نورية الشيخلي ينظر الموقع:
http://rds.yahoo.com/_ylt=A0oGklYDNFdG1EoBqIdXNyoA;_ylu=X3oDMTE5OTAzbXRuBHNlYwNzcgRwb3MDNQRjb2xvA3cEdnRpZANNQVAwMDdfMTAzBGwDV1Mx/SIG=12uhcl8vb/EXP=1180206467/**http%3a//www.aljahidhiya.asso.dz/Revues/tebyin_20/Elalama_fiellisaniyate.htm

٩) المصدر نفسه : وينظر: هل كان فرديناند دو سوسير بنيويا ؟: جوناثان كلر/ترجمة:حربي محسن عبد الله جريدة المؤتمر : العدد ١٠٤١ في ٢٣ كانون الثاني ٢٠٠٦.

١٠) مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة. كاترين فوك نقلا عن العلامة في اللسانيات ينظر الموقع الإلكتروني أعلاه.

[11]) المصدر نفسه : ٢٧٨.

أذن فليس من الغريب بعد هذا كله ان يطلق الدكتور على عبد القاهر مفهوم الريادة سيما أنه يرى في منهجه التحليلي مقتربا من الطروحات البنيوية فنظرية النظم في جوهرها ((صيغة سوسيرية وبنيوية مبكرة ،فهو حينما يتحدث مثلا عن ارتباط (الروعة والهيبة) اللتين يولدهما فنيا النص القرآني بما (بين معاني الألفاظ من الأنساق العجيب) يتحدث عند شبكة العلاقات بين العلامات على المحور الأفقي ، وهو ما أسميناه بعلاقة المجاورة ..))[1]ومع هذا يبدو أن المسألة بحاجة إلى ترو قبل القول بالتطابق بين اطروحات الفكرين الغربي المعاصر والعربي التراثي القديم فلو عدنا إلى عبد القاهر لوجدناه ينطلق من المفردة وعلاقتها بالمفردة التي قبلها او بعدها وهو ما يسميه التعليق وهذا لايكون من غير معاني النحو ((وأنك ان عمدت الى الفاظ فجعلت تُتبع بعضها بعضاً من غير توخي فيها معاني النحو وأنك ان عمدت الى الفاظ فجعلت تبع بعضها بعضا من غير ان تتوخى فيها معاني النحو ، لم تكن صنعت شيئا تُدعى به مولفا وتشبه معه بمن عمل نسجا او عمل على جملة صنيعاً ولم يتصور ان تكون قد تخيرت له المواقع ..))[2] وهو امربعيد عن هم الجرجاني في دفاعه عن الكلام وولادته من (اللفظ والمعنى /النظم)[3]وليس البحث عن الأطروحات البنيوية ؟.

ويؤكد الدكتور حمودة أن نظرية التواصل اللغوي التي أتى بها سوسير وياكوبسون ويجعلها إطارا مرجعيا هي في قراءة الكثير من نصوص القدماء، ومثال ذلك خلوصه من خلال نص لعبد القاهر يقدم فيه حلا توفيقيا لمشكلة اللفظ والمعنى إلى أن الرجل يقدم تعريفا عربيا مبكرا للغة باعتبارها أداة اتصال، ويتحدث عن الرسالة والمرسل والمستقبل، بمفردات عربية قديمة هي الخبر والمخبر والمخبر به[4] وبغض النظر عما قاله عبد القاهر، فإننا نرى أن مثل هذه القراءة لا تجوز، فادعاء السبق إلى إبداع الأفكار والتصورات من خلال قراءات انتقائية، لا يقصد إليها أصحابها ليس بالأمر العلمي النافع، ثم إنه سلاح ذو حدين، فهو حجة علينا وعلى من سبقنا وليس حجة على من أتى بتلك النظريات واستفاد منا.

أن هذه الرؤية التي بحاجة الى كثير من الشواهد والأمثلة لربما هي ما دفعت بعض النقاد المعاصرين وعلى راسهم د. احمد علي محمد الى القول بإن((إطلاق الكلام على عواهنه خاصة من خواص كتاب حمودة، وهجومه على الحداثة لم يكن يصدر عن موقف ثقافي واع، فثمة خلط بين الحدود. فالحداثة كما قلنا حالة علمية عمادها العقل القادر على الإنجاز والذي يسهم حقاً في إثراء الحضارة الإنسانية. إذ الحداثة شيء، والتغريب شيء آخر تماماً. ود. حمودة في أثناء كتابه يخلط بين التوجه الحداثي الذي يستهدف تغيير الواقع الثقافي الراهن، وهو أمر مشروع لضرورةٍ تفرضها الحياة التي تتطلب على الدوام حظاً من التجدد والتطور والتغيير، والتغريب الذي يعني الانسلاخ عن آمال الأمة وتطلعاتها، والميل إلى ترويج أفكار تنال من أصالتها، وتسيء إلى كيانها وحضارتها وتاريخها))[5]فالانطلاق بالتراث العربي ومحاولة تقريبه من الفكر المعاصر ولاسيما الغربي بحاجة الى كثير من المقارنة والمتابعة الدقيقة ومن المبكر والبعيد القول بتشابه الفكرين لسبب بسيط وهو جود خلاف فلسفي في الفكر العربي والغربي فالانطلاقة الجرجانية كان وراءها دافع ديني عقائدي في اثبات اعجاز القران بالنظم /الصياغة بين المفردات في حين تقف وراء الفلسفات الغربية بواعث قد تكون دينية ولكن مختلفة في محتواها وهي تدور في جوانب الفلسفة المسيحية واليهودية والعلمانية ومن العجب على الدكتور ان يلوم أبا ديب وجابر عصفور في الوقت الذي يقع في خطأ التحمس للتراث واطلاق الأحكام الصارمة من قبيل قوله أن ((البلاغة العربية توقفت منذ مئات السنين عند كثير من قضايا التعامل النقدي مع النص التي توقف عندها البنيويون وما بعد البنيويين الذين يتعاملون مع النص الأدبي..))[6] فكيف هذا يكون دون بيان بيان للشخصيات البلاغية والتحليل البلاغي الذي يترك للقارئ قناعة بما قاله الدكتور فهل من الصحيح اعتماد نظرية أو فكرة استنادا لقول عبد القاهر حصرا ،ومن الغرابة أن يفصح الدكتور أن البلاغي العربي تعامل مع النص ويقدم نموذج بنيوي لا يختلف عن النموذج

---

[1]) المرايا المقعرة: ٣١٩.

[2]) دلائل الأعجاز: عبد القاهر الجرجاني :٣٧٠-٣٧١

[3])ينظر : المصدر نفسه : ٣٦٥

[4]) ينظر: المرايا المقعرة :٢٧٠

٥) قراءة نقدية في كتاب المرايا المقعرة للدكتور عبد العزيز حمودة ـ د. أحمدعلي محمّد : ٢ جريدة الاسبوع الادبي / دمشق- العدد ٨٠٦ تاريخ4/5/2002

[6]) المرايا المقعرة: ٣٢٣.

البنيوي الغربي ..[1] بل أن الأمر ازداد عجبا بوضع بنيوية خاصة لعبد القاهر الجرجاني تقوم على ((التعامل مع البنيوية كنظام من العلاقات تحكمه شبكة علاقات مركبة ،علاقات تعالق واختلاف ..))[2]كيف واين النصوص هذا ما لانجده .

ويقف الدكتور حمودة عند تحليلات عبد القاهر لابيات شعرية مؤكدا انه في بعض تحليلاته اقترابا من مفهوم دريدا ولاسيما في مناقشة عبد القاهر للجمع بين الشكل والحركة ...[3] ولا يحق لوجود تشابه في بعض الألفاظ ان يُطلق هذا التقارب في بلوغ المعنى كمال الصفة من خلال المقارنة مع مفهوم الزيادة عند الجرجاني في قوله :(أخو نفاس جدّ في التمطي) وهذا ما عدّه الدكتور بأن التمطي هو زيادة في المعنى ..[4] ولكن اين مفهوم الإطاحة بالمعني عند دريدا فهو ينطبق معاكسا تماما لانطلاقة الجرجاني واهتمام الأخير بمفهوم المعنى ومعنى المعنى في حين أهتم دريدا في البحث عن الشفاهية ونقل الفلسفة من الاهتمام بالمركز الكلمة /الكتابة إلى الشفاهية /اللفظ غاية منه لنقل الاهتمام الإنساني من الكتابة ودورها بالفكر الى اللفظ . هذا التحمس د. احمد الى وصف اليات كتاباته ولا سيما في كتابه المرايا المقعرة القول بأن ((المؤلف فيما يبدو للقارئ مسكون بإيجاد البدائل وتصحيح المسارات، وتغيير الظروف التي يظهر من خلالها النتاج النقدي العربي تابعاً للنقد الغربي في أحسن حالاته، وهذا إحساس جميل لو توفرت الإمكانيات إلى تغييره، ولكن المؤلف سعى إلى ذلك بغير زاد فبدا عمله في هذا المضمار مفارقةً تبعث على الابتسامة في الحالات النادرة التي يستطيع المرء فيها أن يتمالك نفسه أو يتخلص من عصبيته. .... إن إطلاق الكلام على عواهنه خاصة من خواص كتاب حمودة، وهجومه على الحداثة لم يكن يصدر عن موقف ثقافي واع، فثمة خلط بين الحدود. فالحداثة كما قلنا حالة علمية عمادها العقل القادر على الإنجاز والذي يسهم حقاً في إثراء الحضارة الإنسانية. إذ الحداثة شيء، والتغريب شيء آخر تماماً. ود. حمودة في أثناء كتابه يخلط بين التوجه الحداثي الذي يستهدف تغيير الواقع الثقافي الراهن، وهو أمر مشروع لضرورةٍ تفرضها الحياة التي تتطلب على الدوام حظاً من التجدد والتطور والتغيير، والتغريب الذي يعني الانسلاخ عن آمال الأمة وتطلعاتها، والميل إلى ترويج أفكار تنال من أصالتها، وتسيء إلى كيانها وحضارتها وتاريخها.))[5].

إننا إذ نثمن الدور الذي اطلعنا به الدكتور في البحث عن بعض نقاط الاقتراب وليس التشابه بين الفكر العربي والغربي في بعض جوانب المعرفة ودفاعه عن تراث النقد العربي ((وعندما لاحظ حمودة أن الوسط الأدبي منبهر بهذه النظرية دون إدراك كامل للفلسفة وراءها فكتب كتابه (المرايا المحدبة) ١٩٩٨م، واتخذ فيه موقفَ العداء والهجوم، ورفض النظرية الحديثة استنادًا إلى موقفها الإيديولوجي الذي لا يتفق مع تقاليدنا ومعتقداتنا وتراثنا، وكان هناك أستاذ أمريكي هاجم دريدًا في كتاب تهافت التفكيكية وبيَّن أنها فاسدة الفكر والفلسفة، وهاجم حمودة كلَّ هذه المدارس، أما في كتابه الثاني (المرايا المقعرة) والثالث (الخروج من التيه)، فحاول تقديم نظرية ثابتة في النقد العربي تتكئ على التراث العربي بعد فضْحِ المدارس النقدية الغربية، وقد أثرت كتب حمودة في العالم العربي تأثيرًا كبيرًا، وأعادت الثقة للمبدعين والنقاد العرب، بأن لديهم تراثًا جديرًا بإعادة الاكتشاف والانتفاع بذخائره.))[6] بيد أننا نرفض أي انجراف وإسقاط لمفاهيم تُقحم الفكر العربي قسرا لدوامة الفكر الحداثوي المعاصر.

---

[1]) ينظر: المرايا المقعرة:٣٢٣.

[2]) المصدر نفسه:٣٢٠.

[3]) ينظر: المرايا المقعرة:٤١٢.

[4]) ينظر:المصدر نفسه:٤١٢.

٥) قراءة نقدية في كتاب المرايا المقعرة للدكتور عبد العزيز حمودة : ٢ د. أحمدعلي محمّد جريدة الاسبوع الادبي العدد ٨٠٦ تاريخ4/5/2002

[6]) ينظر موقع الأخوان :http://www.ikhwanonline.com/Article.asp?ID=23319&SectionID=0 .

عبد الله الغذامي (المشاكلة والأختلاف):

تناول الغذامي الامام عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه (المشاكلة والاختلاف) مبينا ان مفهوم الاختلاف في النص يعني انه قابل لأكثر من التأويل ...في حين تاخذ مفهوم المشاكلة دلالتها اللغوية وهي ان الأبداع نظام أنضباطي يتاكل مع الاشياء بوصفه واقعا مقررا سلفا.[١]

من هنا ينطلق الدكتور الغذامي ليقرر مبدأه النقدي ((الذي يقوم على الجمع بين (شدة الأئتلاف)و(شدة الأختلاف) في حالة شعرية مماثلة ..)) [٢]وهذا مانتفق مع الدكتور الغذامي من خلال بعض الأمثلة التي عرضها ولكن ما لانتفق معه قوله بأن ((مشروع الجرجاني في نظرية البيان لم يتحقق إلا جزئيا ، وذلك بسب محاصرة المعنى وسيطرته على تفكير الجرجاني وهذه نتيجة متوقعة في تلك الفترة من حضارة الإنسان ...)) [٣] أن اهتمام عبد القاهر الجرجاني بالمعنى لم يكن دقيقا كما يرى الدكتور الغذامي لان عبد القاهر انطلق من مفهوم النظم الذي يقوم على ولادة تنشا من صياغة اللفظ والمعنى فالاستحسان في الكلام يتأتى من اللفظ والمعنى ((وأما رجوع الاستحسان إلى اللفظ من غير شرك من المعنى فيه ،وكونه من دواعيه فلا يكاد يُعدّ نمطاً واحداً..)) [٤]فلا وجود للمعنى دون لفظ بل وجود الصياغة التي تلد من المفهومين معا فالجرجاني اراد من خلال عقيدته الأشعرية ان يثبت للمعتزلة والأخرين أن اعجاز القران في صياغته وليس في لفظه كما يرى المعتزلة ومن هنا ولد الاهتمام بالجملة المتولدة من اللفظ والمعنى .

ويعود الدكتور الغذامي مرة أخرى ليؤكد أن عبد القاهر ومن خلال اهتمامه بالمعنى يقترب من ميشيل فوكو ((... لكننا الآن نركز على هيمنة المعنى – وهو أحد تجليات التفكير– على التصور اللغوي القديم ،كما رأينا عند الجرجاني وقد اشار ميشيل فوكو الى أن ذلك أيضا –هو السائد في الحضارة الغربية ..)) [٥] ما هو مفهوم هيمنة المعنى لكي نضع للقارئ تصورا للمصطلح ؟؟ ولا اعلم ان كان في الكلام هيمنة للمعنى دون اللفظ وكيف يظهر المعنى دون اللفظ وهو ما رفضه وأستبدله بمفهوم النظم الذي يتجسد في الصياغة المتولدة من اللفظ والمعنى [٦]ثم نفتقد في هذا الموضع من المقارنة الى النصوص التي يستطع القارئ من خلالها المقارنة والوصول الى رؤية في فهم وجه الشبه بين الاتجاهين سيما الفرق بين الحضارتين العربية الأسلامية والغربية ، وأنه من الغريب حقا أن يتهم الدكتور الغذامي نظرية عبد القاهر بالضعف وفقا لمقياس غربي ((والحق أن نظرية (النظم) هي أضعف ما عند الجرجاني من تصورات وذلك لأنها تركزت على أسبقية المعنى على النص وتقوم على توخي معاني النحو ... وفي مفهوم التركيب يرفض الجرجاني فكرة (المفردة) ويضع (المجموع)في مكانها ..)) [٧]، فهو أسير المعنى [٨].

ثم بعد ذلك يذهب الدكتور الغذامي بعبد القاهر الى دور الهدم في تحطيم آليات المعنى والاهتمام به من خلال استخدام مصطلحي المشاكلة والاختلاف فهو –كمايرى الغذامي– على ((وشك تحطيم الصنم الأخير الذي هو المعنى لولا أنه وقف عند حد تشريح (الجملة) ولم يتجاوز ذلك الى النص او الوحدة الشعرية ..)) [٩] هذا التحطيم يتجسد من خلال ((مفهوم المشاكلة حينما يقوم بفك العلاقة المفترضة المفترضة ما بين التصور العقلي الجازم أي المعنى القاطع والدلالة ..)) [١٠] فالغذامي يريد ان يقول ان النص عند عبد القاهر ذو قراءات

---

[١] ينظر: المشاكلة وألأختلاف (قراءة في النظرية النقدية العربية وبحث في التشبيه المختلف) عبد الله الغذامي :٦–٧.

[٢] المصدر نفسه : ١٤.

[٣] المصدر نفسه : ٢٣.

[٤] أسرار البلاغة في علم البيان : الأمام عبد القاهر الجرجاني :٦–٧ تعليق محمد رشيد رضا دار المطبوعات العربية

[٥] المشاكلة وألأختلاف :٢٤.

[٦] ينظر : المرايا لمحدبة (من البنوية الى التفكيك) :د.عبد العزيزحمودة :٢٩٩.

[٧] المشاكلة وألأختلاف: ٣٦–٣٧.

[٨] ينظر:المصدر نفسه : ٤١.

[٩] المصدر نفسه: ٤٢.

[١٠] المرايا لمحدبة (من البنوية الى التفكيك) :د.عبد العزيزحمودة: ٧٠–٧١.

متعددة في دلالته وبالتالي يقترب عبد القاهر من دريدا فاستخدام الباحث لمفهوم التقويض وهو مصطلح تفكيكي يعطي للقارئ مدى محاولات الدكتور الغذامي في إقناع القارئ بهذا التقريب دون وجود النصوص التي تعطي القناعة ومن هنا يؤكد في سياق حديثه عن الأشارات عند الجرجاني ((... وهذه كلها تصورات يتولى الجرجاني تقويضها من خلال طرحه لمفهوم إشارية اللغة..))[1] وهنا يذهب الدكتور الغذامي بقراءة بعيدة لعبد القاهر ليس وفقا لإطاره الذي ولدت فيه رؤاه وأفكاره وهو عكس ما نبه عليه غادامير فالقارئ المعاصر يجب ان يضع نفسه في قراءته للنص بلإطار التاريخي الذي ولد فيه النص ((في مجال الفهم التأريخي أيضا نتحدث عن الأفاق خاصة عند الإشارة إلى مطالبة الوعي التأريخي برؤية الماضي في ضوئه هو ، وليس في ضوء معاييرنا وأهوائنا المعاصرة ،بل في داخل أفقه التاريخي)) [2] ويصر الدكتور الغذامي في تحميل نصوص التراث العربي من غير الجرجاني كاقوال الباقلاني وغيره تحميل ذو رؤية حداثوية بعيدة عن قراءة للنص في احضان الفكر العربي وفي كثير من الأحيان لانجد النصوص الموثقة التي يُعتمد عليه للمقارنة ومن هذا قوله عن الباقلاني ان غاياته ((.. كانت تشريحية (تفكيكية) ..))[3] والأمدي نفسه ((كان يستندعلى فكر تفكيكي مماثل ..))[4]. وهنا وهنا يجب التنبيه ان ((الأساس الوحيد الذي اعتمده دريدا في تحديده لتفكيكيّته هي (اللاّثبات)، وهي بهذا المعنى تُغيّب النّظام المحدّد، وتُلغي التّقيّد بمنهجٍ مرسومٍ، وتُسقط الالتزام بإطار مشروعٍ سيكون متناقضاً أصلاً وطبيعتها لأنّه يفرض عليها ما هو مخالفٌ لجوهرها المتحرّك والمتبدّل. إنّ ولادة التّفكيكيّة هي ولادةٌ لمنهجيّةٍ جديدةٍ في المقاربة الفلسفيّة والأدبيّة تُقوّض الأنظمة المعرفيّة والفلسفيّة واللّغويّة والأدبيّة السّابقة عبر مساءلة النّسق البنائيّ الذي تأسّست وفقه هذه الأنظمة بدءاً من أفلاطون حتّى المرحلة المعاصرة.)) [5]

اننا بإدراكنا ان التفكيك ((كمنهج تفسيري يعمل عن طريق الدخول بحذر في متاهة كل نص فالناقد يتحسس طريقة من شكل الى شكل ، من مفهوم الى مفهوم من موتيفة أسطورية الى موتيفة أسطورية في تكرار لا يمكن إعتباره معارضة باي حال من الأحوال برغم ذلك فأنه يستخدم القوة التخريبية الموجودة في أكثر عمليات الأزدواج doublingدقة وتحديدا ..))[6] يلزمنا التروي قبل المقارنة والتريث قبل إصدار إصدار الآراء ووجهات النظر وهذا ما ذهب إليه الدكتور عبد العزيز حمادة من ان ((في بعض الأحيان يبلغ حماس يرتبط بالدرجة الأولى بحماس مبدئي للنقد الحداثي الغربي يقابله حماس مماثل للتراث النقدي العربي، ينتج منهما في نهاية الأمر تمزق او تشتت واضح بين الاثنين ينتهي إلى عدم التوفيق في تأسيس شرعية الماضي أيضاً، ويجسد عبد الله الغذامي هذا الموقف الأخير بشكل لافت للنظر..))[7] الأمر الذي نتفق فيه ، ومن المهم ان ندرك الخطر على النص القرآني في تكرار مثل هذه العبارت سيما اذا علمنا وكما يرى ((ديفيد اليسون، على ضرورة إعادة التفكير بمشكلة اللغة كلها))[8] لان في ذلك نسفٌ لقواعد النحو العربي الذي نزل القرآن الكريم بلغته ، قال الله تعالى ((انا انزلناه قرآنا عربياً)) فهل هذا مايريده الجرجاني أم ان الرجل غايته الدفاع عن اعجازه وابهارا بلغته التي جاءت اساساً لأعجازه ومن هنا تكم خطورة مثل هذا القول.

---

[1]) المشاكلة وألأختلاف: ١٣.

[2]) Hans-GeorgGadamar,Truth and method .trans.Joel weinshemer and Donaldg.marshall.2nd,ed(new york: crossroad,1989),pp.302-3.نقلا من المرايا لمحدبة :٣٢٤.

[3]) المشاكلة وألأختلاف: ٥٢.

[4]) المصدر نفسه: ٥٢.

[5]) التّفكيكيّة والنّقد العربيّ الحديث ـ د. غسان السيّد: ٩ مجلة الموقف الأدبي - مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق – العدد ٤٢٦ تشرين الأول ، السنة الخامسة والثلاثون –٢٠٠٦م.

[6]) المرايا المحدبة : د.عبد العزيز حمودة : ٣٨٧.

[7]) المرايا المقعرة (نحو نظرية نقدية عربية): د.عبد العزيز حمودة ١٨٢.

٨) ديفيد أليسون، مقدمة كتاب "الصوت والظاهرة"، ص.I-xxxvii نقلا عن جاك دريدا ، ونظرية التفكيك..: ٢٣٣ خالدة حامد تسكام مجلة الآداب الاجنبية – مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق – العدد ١٠٤

الدكتور محمد عبد المطلب (قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني):

يعالج الدكتور مفهوم المعاصرة في النقد الحديث من تساؤل وهو كيف يفيد بلاغتنا العربية لتصبح عصرية ومواكبة لروح القرن العشرين والقرون التالية فيجيب قائلاً ((ليست قضيتنا هنا هي إعادة البلاغة بكل مصطلحاتها وبكل تفريعاتها لتحل محل المصطلح النقدي فالبلاغة ليست في حاجة إلى ذلك لان نظرية الأدب نفسها تتصل بكثير من هذه المصطلحات .. فالبلاغة تشارك التوجهات الشكلية والبنيوية والسيموطيقية في اهتمامها بالأداوت الشكلية اللغوية ..))[1] وتختلف مسألة مقاربة التراث العربي من المعاصرة عند الدكتور عبد المطلب كونه يفرض رؤية تواصلية فيد عدم الأكتراث ببناء بلاغة جديدة بل محاولة بحث عن جذور للحداثة في النص القديم فهو يتبنى قول هنريش بليت ف((الأسلوبية –كما يقول هنريش بليت قد تتقلص أحيانا لا تعدو أن تكون جزءاً من نموذج التواصل البلاغي.))[2]

ومن هنا يذهب الدكتور إلى أن الأسلوب هو النظم عند عبد القاهر الجرجاني، يقول د.عبد المطلب((ولا ينفصل عبد القاهر الجرجاني عن نظريته في النظم عندما يعرض لمفهوم (الأسلوب) بل يكاد يطابق بينهما بوصفهما ممثلين لإمكانية خلق التنوعات اللغوية القائمة على الأختيار الوافي..))[3] ومن هنا يرى الدكتور ان اهتمام عبد القاهر بالمعاني الثواني لم يكن ضربا من اللهو او في محل الصدفة بل خدمة للأسلوب أي ما يعني النظم عند عبد القاهر ((وبما أن الرجل معني بالمعاني الثواني كانت البنى البلاغية هي شاغلة في تحديد مفهوم الأسلوب،ولا يمكن أن تتشكل البنى إلا بالإتكاء على الوظائف النحوية التي تهز تطابق الدال والمدلول ..ومن ثم يحدث إنزياحا يسمح بوجود فضاء يستوعب المعاني الطارئة التي يمكن أن نسميها مرة تشبيها ومرة تمثيلاً ومرة إتساعاً..))[4] ثم يبحث الدكتور عبد المطلب طبيعية الأسلوب عند عبد القاهر مؤمنا أنه ينطلق من وجود ثنائي المعنى /الذهن من جانب اللفظ /الصوت ((الأسلوب –عند عبد القاهر– يحتفظ لنفسه بوجود ثنائي، إذ هو كما لا يتشكل في إطار ذهني ،يتحقق في تشكيل صياغي..))[5] الأمر الذي لايعد غريبا عن عبد القاهر سيما هو يعالج قضية الأعجاز القرآني من اتجاه ديني أشعري فالأشعرية حاولوا الموازنة بين العقل والوحي بين /المعنى واللفظ ومن هنا يطرد الدكتور قائلاً ((حقيقة أن الرجل قد أنطلق من خلفية دينية تدور حول الكلام الإلهي مقارناً بالكلام الإنساني ، لكنه قد تجاوز هذه الخلفية وتحرك حركة طليقة أستوعب ما سبقه من جهود وصبَّها في قالب نظري..)) [6] .

يتوجه الدكتور بعد ان عرض الية النظم وعلاقتها بالأسلوب الى طبيعة النحو عند عبد القاهر وتشومسكي مؤكداً انهما انطلقا من منطلقات فكرية مسبقة وإن ((كلاًّ منهما حاول خدمة هذه المنطلقات بالنظر من الزاوية التي يراها تساعده في مهمته فكلاهما كان نتاجاً لمناخ فكري وعقلي معقد ، مع الفارق بينهما ،حيث أرتبط الأول بمهمة دينية ذات أصول كلامية وأرتبط الثاني بمنهج عقلي إنساني محدد ..)) [7] ثم يعود الدكتور عبد المطلب ليربط بينهما في دراسة النحو التقعيدي [8] ولكن موضحا في الوقت نفسه الفارق الذي يفصل بينهما ،فهو ،فهو يرى ((انه من الحق أن عبد القاهر وتشومسكي قد أنطلقا من منطقة (النحو التعقيدي) غير أن الثاني رأى الدراسات التي أتصلت بهذا المستوى قد أقتصرت على تجميع عدد من الملاحظات ..ولذا قدم دراسته الكيفية التي انتقلت بالدراسة النحوية من مرحلتها الوضعية إلى المرحلة النظرية التفسيرية ، في حين يرى عبد القاهر في التجريدات النحوية وسيلة كيف يستعان بها على إنتاج الدلالة من اللفظ

---

[1]) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني :د.محمد عبد المطلب:٨.

[2]) المصدر نفسه :٨.

[3])المصدر نفسه:٤٣.

[4]) المصدر نفسه:٤٤–٤٥.

[5]) المصدر نفسه:٥٠.

[6]) المصدر نفسه : ٢٧.

[7]) المصدر نفسه:٥٩–٦٠.

[8]) ينظر:المصدر نفسه:٥٩

وصولاً الى إبراز الغرض الأعم من التركيب بالوسيلة نفسها ...))[1] إذن فالعلاقة لا تعدو أن الاثنين حاولا تقعيد قواعد للغة بيد أن مضمون ماجاء به عبد القاهر وتشومكي مختلف تماما فالانتقال من البنية العميقة للنص إلى البنية السطحية من خلال البنية النحوية للغة ما عند المتكلم /السامع المثالي يختلف عن الاهتمام بالنظم الذي يمثل اتجاه فردي إبداعي يقوم على ثقافة المبدع في صياغة النص من خلال التوزيع والاختيار ، يقول د. مرتضى جواد باقر((أن تشومسكي معني أساساً بالبنية النحوية وكيفية وصفها من حيث طبيعتها وشكلها والبنية النحوية لديه هي البنية النحوية للغة ما عند المتكلم /السامع المثالي ،فهو إذن يتحدث عن البنية النحوية بصورتها المثالية – كما أسلفنا – بتجريدها عن كل أثر فردي كالمهارات الكلامية عند البعض.... أما الجرجاني فأنه معني مباشرة بالإبداع الفردي في الاستخدام اللغوي وهو يريد وهو يريد أن يستكشف قوانين هذا الإبداع الفردي فيقدم ما عُرف بنظرية النظم..))[2] ، ((النشاط العقلي الذي يتحدث عنه تشومسكي ليس أكثرمن هذه المعرفة بقواعد اللغة التي يمتلكها المتكلم الأصل كسليقة طبع عليها ، وأما الجرجاني فكلامه عن النشاط العقلي واع للفرد الذي يختار عبره هذا الأسلوب أو ذاك متوخيا فيه معاني معينة للنحو –))[3] وهو ما يخالفه الدكتور عبد المطلب في قوله ((ولاشك ان كلا من الرجلين (تشومسكي وعبد القاهر) قد نظر الى المعايير المجردة في اللغة من خلال الفرد الذي يتعامل بها تعاملاً خلاقاً ، فالقواعد اللغوية ترجع في حقيقتها الى العقل الداخلي والمنطق عند تشومسكسي ، كما ترجع الى الكلام النفسي عند الجرجاني ..))[4] بيد أن الفارق شاسع بين الاثنين فمعاني النحو مختلفة عن القوانين العامة التي تصوغ من خلالها الجمل وكما أسلفنا في كون تشومسكي يصب اهتمامه على البنية النحوية للجملة وهي مما يشترك به الجماعة اللغوية او ما يتصف به المتكلم /المستمع المثالي – بدون تفاضل بين أحد وآخر في حين صبَّ أهتمام عبد القاهر على توخي الفرد لمعاني النحو وهو اهتمام بالمبدع.[5] ويعود الدكتور في موضع آخر ليربط بين الاثنين معدا عبد القاهر وتشومسكي متفقان أن((المتكلم يمتلك قدرة لغوية أتيحت لهما عن طريق النحو –تسمح لهما بتوليد عبارات لانهائية،ذلك أن معاني النحو –عند عبد القاهر – تقوم على فروق ووجوه كثيرة))[6] ولكن نحن نتكلم عن تشومسكي يتبادر في ذهننا المحور العمودي الذي يمثل اتجاه التوليد والانطلاق من البنية العميقة إلى البنية السطحية للنص بينما في تكلمنا عن معاني النحو عند عبد القاهر يتمثل لدينا المحور الأفقي /التوزيعي المحور الأهم في صياغة الكلام من خلال النظم والمرتسم الأتي يوضح ذلك:

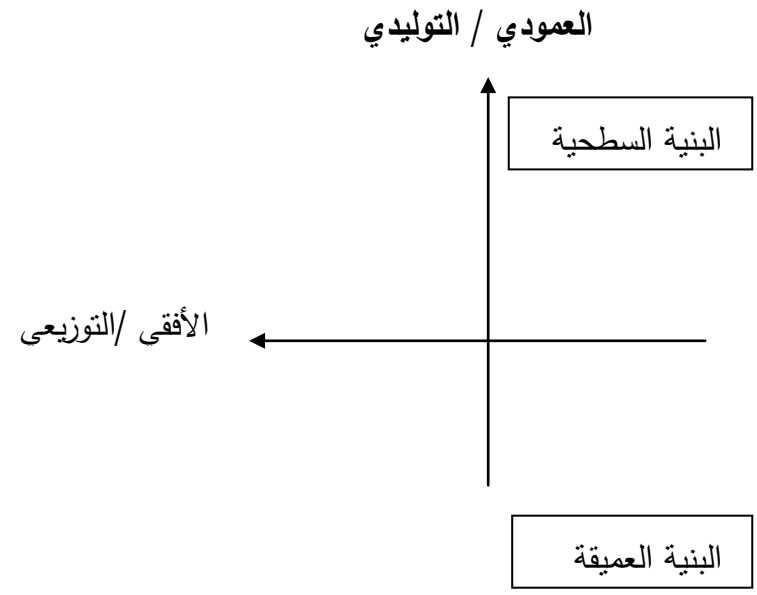

[1]) المصدر نفسه:٦٥.

[2]) مفهوم البنية العميقة بين تشومسكي والدرس النحوي العربي:د.مرتضى جواد باقر :٢٩ مجلة اللسان العربي ع٣٤– ١٩٩٠

[3]) المصدر نفسه : ٣٠

[4]) قضايا الحداثة: ٨٦.

[5]) ينظر:مفهوم البنية العميقة بين تشومسكي والدرس النحوي العربي:٢٩.

[6]) قضايا الحداثة:٨٢.

يقول عبد القاهر:((ذاك لأنه اذا كان لايكون (النظم) شيئاً غيرَ توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم،كان من اعجب أن يزعم زاعمٌ أنه يطلب المزية في ((النظم)) ثم لا يطلبها في معاني النجو وأحكامه التي (النّظمُ)) عبارةٌ عن توخيها فيما بين الكلم))[1] فالاهتمام أذن مختلف بين معاني النحو المعني بها الفرد وبين قواعد النحو المعني بها الجماعة اللغوية .

ثم يتناول الدكتور عبد المطلب مصطلح الشعرية معداً اللفظ المقابل لمفهوم النظم ((.. إذ النظم ليس إلا حركة واعية داخل الصياغة الأدبية ..وان كان الملاحظ وجود فارق وهمي جعله عبد القاهر قائما بين منطقة النظم ومنطقة النثر ،ومن ثم يكون الوجود الحقيقي (للشعرية) في المنطقة الأولى ..))[2] وهذه المنطقة متولدة من الاهتمام بالبنية الداخلية المتأتية من توخي معاني النحو عند الأديب ف((بإسقاط الإطار الخارجي الإيقاعي يخلص عبد القاهر للبنية الداخلية بما فيها من طاقات وإمكانات نقلتها – بالنحو–من النثرية إلى الشعرية ..))[3] ويبدو هنه أن الباحث ينطلق من مبدأ أن عبد القاهر مؤمنٌ بالقيمة الفعلية للشعر بعيداً عن البحث في الموازنة بين اللفظ والمعنى ،فما يشغل الشيخ عبد الجرجاني هو الاهتمام ب((الصياغة والناتج الدلالي))[4] كما يرى د.عبد المطلب ومن هنا كان اهتمام الجرجاني باللفظ من باب تمثيله للمعنى ولو جزئيا وهي فكرة أشعرية تقوم على أن اللفظ صورة للكلام النفسي الداخلي الذي يدور في عقل الإنسان ، هذا ما دفع كثيراً من المعاصرين إلى البحث عن (رمزية اللغة) عند الجرجاني بل يتعدى الموضوع ليتناول ما طرحه دي سوسير وبوفون وغيرهم ، إذن فالشعرية عند الجرجاني –كمايرى د.عبد المطلب– تنحصر ((داخل الخط الأفقي الذي تترد فيه مفردات معجمية تربطها علاقات نحوية ..))[5] وهو ما يعرف عند الجرجاني بالتعليق فالشعرية تتأتى عند الجرجاني بالاعتماد على التشكيل النظمي النظمي الذي يتولد أساساً من((عملتين:الاختيار والتوزيع ،إذ هما اللتان تتكفلان بنتاج الدلالة الشعرية..))[6] فالعملية الشعرية ارتبطت هنا هنا بالاختيار والتوزيع وليس الخط الأفقي كما رأينا مما يعني أن دلالة المصطلح متشابهة عنده ثم يعود وبرؤية ثالثة أن الشعرية عند الجرجاني تتعلق ((بالمعاني من حيث كونها ناتجا للإمكانات النحوية ، لا من حيث كونها أغراضا يدور في فلكها الشعراء..))[7] ولو عدنا إلى الأقوال السابقة لوجدنا أنها تصب في اتجاه واحد هو النظم المحور الأهم في كتب عبد القاهر الجرجاني ،يقول عبد القاهر في الدلائل في معرض حديثه عن أهمية النظم وعلاقته بالنحو ((وكنا قد علم أن ليس ((النظم)) غير توخي معاني واحكامه فيما بين الكلم وانّا إن بقينا الدهر نُجهد أفكارنا حتى نتعلم للكلم المفردة سلكا يَنظِمها ،وجامعاً يجمع شملها ويؤلفها ، ويجعل بعضها بسب / من بعض ، غير توخي معاني النحو وأحكامه فيها طلبنا ما كلٌ مجال دونه ... ذاك لأنه اذا كان لا يكون (النظم)شيئا غير توخي معاني النحو واحكامه فيما بين الكلم كان من أعجب العجب أن يطلب المزية فقد بان وظهر أن المتعاطي القول في ((النظم)) ثم لا يطلبها في معاني النحو وأحكامه التي ((النظم)) عبارةٌ عن توخيها فيما بين الكلم ..))[8] ومن هنا عاد الدكتور ليختم ذلك بالنظم لأنه أدرك أنه المصطلح الأدق في التعبير عن رؤاه مؤكدا انه ((يعبر بصدق عن تزاوج خط المعجم وخط النحو ..))[9] .

---

[1]) دلائل الأعجاز : عبد القاهر الجرجاني : ٣٩٢–٣٩٣

[2]) قضايا الحداثة:٩٠–٩١.

[3]) المصدر نفسه:٩٣.

[4]) المصدر نفسه:٩٤.

[5]قضايا الحداثة: ٩٤.

[6]) المصدر نفسه:١١٠.

[7]) المصدر نفسه:٩٠–٩١.

[8]) دلائل الأعجاز : ٣٩١–٣٩٣.

[9]) قضايا الحداثة:١٣٤.

ينتقل الدكتور بعد ذلك للبحث عن آليات التناص عند الجرجاني مؤكد انه يتوارد عنده في ظل ((الإطار الكلي لظاهرة (التداخل) من خلال (التوارد) أو (التوافق) حيث يكون ذلك في (الغرض) على وجه العموم أو الأجمال أو في (وجه الغرض) ...))[1] وأنه – عبد القاهر– يتكئ كثيراً ((في رصد التناص على الأبنية الخاصة ، أو التشكيلات الجزئية ودورها في إنتاج المعنى وبما أن اهتمامه منوط دائما بالمعاني الثواني –فإن أدق ظواهر التناص عنده هي الأدوات التي تتحرك في نطاق هذه المعاني وهي التشبيه والاستعارة والكناية ..))[2] هذا إضافة لما مضى فإن للتناص عند الجرجاني اتجاه آخر يتمثل من نظر الدكتور عبد المطلب في السرقات فعبد القاهر يستغرق لمعظم ظواهر (السرقات) من حلٍّ وعقدٍ ويواصل البحث عن طبيعة هذا المصطلح وهو يعالج ظواهر التداخل الأخرى ومقاييس القدامى الخاطئة في نظر الجرجاني والتي كانت له رؤية مختلفة [3].. .ومن الأنصاف القول أن مصطلح التداخل يقترب من مفهوم التناص المعاصر المعاصر سيما وان جو ليا كريستيفا تقر بوجود التداخل بين النصوص،وهو ما يقترب من مفهوم السرقات عند العرب فهي ترى ((أن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات ، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى))[4] ويرى مارك انجينو أن التناص ((هي تقاطع في النص مؤدى مأخوذ من نصوص سابقة))[5]ويعرف ميشيل ريفارتير التناص قائلا((أن التناص هو أن يلحظ القارئ علاقات بين عمل وأعمال أخرى سبقته أو جاءت بعده ..))[6] .

أخيراً بقي عندنا طرفا العملية الإبداعية (المبدع والمتلقي) وبطبيعة الحال لا يغادر النظم كأساس للانطلاق في دراستهما عند عبد القاهر الجرجاني ومن هنا يرى الدكتور عبد المطلب أن ((حضور المبدع – عند عبد القاهر– شاعراً أو غير شاعر ، يرتبط بعملية التطبيق ، أي توخي المعاني ..))[7] إن الاهتمام بالمبدع هو لا يعدو ان يكون اهتمام بتوخيه لمعاني النحو أي الأهتمام بالصياغة التي محورها النظم ومن هنا أسقط عبد القاهر الجرجاني القارئ مؤقتا لتحقيق فرضيته السابقة ((لأن وجوده في هذه المرحلة يقدم ناتجا مضللا لأن النظر الى السامع –بداية –أن المعاني لاتصل اليه داخليا الا بعد منبه خارجي من السمع فيظن أن النظم عملية لفظية خالصة لا تعلق لها بالأبعاد التحتية الدلالية ..))[8] وهذا يوكد ان الاهتمام بالمبدع هو اهتمام بمعاني النحو وبالتالي التعليق الذي يعني تعليق الكلم بعضها بعضها مع بعض ، فالمبدع عند عبد القاهر يتجلى وجوده ((بالدرجة الأولى في عملية التعليق.... وما يسميه المحدثون (التوزيع)))[9] أما في الاختيار فعبد القاهر يتحرك في دائرة سابقيه –كما يرى د.عبد الطلب– وتشمل رصد لبعض المواصفات البلاغية في المستوى الصوتي.[10] من هنا يكون المبدع هو الذي يختار اللفظة ومن ثم توزيعها على النص وفي ضوء هذين المصطلحين يتم تحديد أسلوب المتكلم وميوله واتجاهاته الفكرية والعاطفية .

ان اهتمام عبد القاهر الجرجاني بالمبدع كان أهتماما دينيا يتمثل في الدفاع عن الأعجاز القرآني الذي يتأتي من الصياغة المتولدة عن المبدع (الله تعالى) ومن هنا تفاوت الأساليب في اللغة والصياغة جعلت اكثر العارفين وأكملهم بها سببا لأعجاز الآخرين على الإتيان بمثلها فالله تعالى جلَّ جلاله أكملهم معرفة باللغة فكان أسلوب القرآن إعجازا للآخرين ولا يخفي الدكتور عبد المطلب تخوف سابقي عبد القاهر الاهتمام بهذا الموضوع ومن هنا صبوا اهتمامهم بالمتلقي هذا من جهة ومن جهة أخرى كان الاهتمام بهذه المسألة عند الجرجاني

---

[1]) المصدر نفسه : ١٦٧.

[2]) قضايا الحداثة: ١٨٠.

[3]) ينظر: قضايا الحداثة: ١٨٩–١٩٢.

[4]) الخطيئة والتفكير : د.عبد الله الغذامي : ١٣و٣٢٢.

[5]) التناصية (أنجيو):ليون سُمفل :٦٠. ضمن (دراسات في النص والتناصية) ترجمة : د. محمد خير البقاعي ، مركز الأنماء الحضاري ، حلب –١٩٩٨م..نقلا عن نظرية التناص –حسين جمعة:٣٢٨ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق –المجلد (٧٥) ج (٢).

[6]) طروس الأدب على الأدب (جيرار جنيت): ١٢٦ ضمن (دراسات في النص والتناصية) ترجمة : د. محمد خير البقاعي ، مركز الأنماء الحضاري ، حلب – ١٩٩٨م..نقلا عن نظرية التناص –حسين جمعة:٣٢٨ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق –المجلد (٧٥) ج (٢).

[7]) قضايا الحداثة: ٢١١.

[8]) المصدر نفسه :٢١٣.

[9]) المصدر نفسه ::٢٢٢.

[10]) ينظر: المصدر نفسه :

ومعاصريه لا يخلو من الحذر كونه يتصل بالقران الكريم الأمر الذي جعل عبد القاهر ومعاصريه لا يفصح ذلك في كتبهم بل متضمن من خلال إشارات النظم والصياغة وتوخي معاني النحو.[1] وعن الطرف الثاني (المتلقي) فالنظم لا يعدو أن يكون المدار الذي ينطلق منه عبد عبد القاهر لمعالجة هذا المصطلح ، يقول د.عبد المطلب((ولا ينفصل موقف عبد القاهر الجرجاني من المتلقي عن نظريته في النظم ، بمعنى أن وجود المتلقي يأتي تاليا للمبدع..))[2] أما علاقته – المتلقي- بالمبدع فتتمثل عند الجرجاني بالمحاورة ((إذ حضور المتلقي عملية مفترضة داخل دائرة الإبداع منذ البداية ، وعلى هذا يفترض عبد القاهر أن المبدع لابد أن يراعي هذا الحضور ويتحرك حركة محسوسة تعبيريا ...))[3] .

من كل ما سبق يمكننا القول أن الدكتور عبد المطلب أنطلق في دراسته لعبد القاهر من مسلمات قبل الافتراضات للوصول إلى المسلمات فهو يبحث في قضايا الحداثة واللسانيات ويجب أن توجد عند عبد القاهر حتى لو يخرج النص بعيدا عما أراده عبد القاهر الجرجاني وهو النظم الذي يُثبت من خلاله الأعجاز بعيدا عما يدور في خلد المعاصرين ومنهم الدكتور عبد المطلب ومع هذا فقد ظهر في الدراسات المعاصرة ما يؤكد دقة الأراء التي طرحها عبد القاهر.

---

[1])ينظر: قضايا الحداثة: ٢٠٨-٢١٠.

[2]) قضايا الحداثة:٢٤٠.

[3]: قضايا الحداثة:٢٤٣.

الدكتور خليل العمايرة : (البنية التحتية بين عبد القاهر وجومسكي):

يضع الدكتور العمايرة ومنذ اللحظة الأولى آليات عمله والتي تجعل من عبد القاهر الجرجاني مثلا يقابل ((بين أفكاره اللغوية وأفكار أصحاب النظريات اللغوية المعاصرة..))[1]ولعل أول هولاء المعاصرين دي سوسير والذي كان الطريق في نظر الدكتور لمقابلة بين افكار الجرجاني وتشومسكي ، ((لذا نرى أن تقابل بين عناصر نظرية دي سوسير اللغوية في نقطتين من أهم بنودها وما يماثلهما عند الجرجاني لتصل الى مقابلة بين الجرجاني وتشومسكي..))[2] وليس غريب على القارئ ما يراه الدكتور فدي سيوسير منظر للاطار العام في مجال اللسانيات ،ومن هنا فاول ما وقف عليه الدكتور العمايرة هو ثنائية (اللغة /الكلام) والتي مكان تجسيدها عند الجرجاني واضحة وجليا في توخي معاني النحو أي النظم والتي يلجأ أليها المبدع كما قلنا سابقا في اتجاهه التوزيعي [3] يقول الدكتور احمد مطلوب أن عبد القاهر فرق بين ((اللغة والكلام ، فا للغة تخص الكلمات المفردة ومعانيها والكلام ما يؤدي به الانسان اغراضه ومراميه لأنه وسيلة التعبير عما هو مكنون الضمير))[4] وهذا مما لا خلاف فيه أما الباحثة مليكا فقد قالت في معرض كلامها على (دي سوسير) ((اللغة ملك لمجموع الجماعة المتكلمة ، ولكنها تتحقق فعلا عن طريق الكلام الفردي...))[5] ويلتحق الدكتور حمادي صمود بالمعاصرين وهو يؤكد أن ((المتتبع لأصول نظرية النظم عند الجرجاني يدرك أنها مبنية على اسس لغوية متطورة قوامها التمييز بين اللغة والكلام تمييزا يضاهي في وقته واستحكام نتائجه ما وصل اليه علم اللسانيات الحديثة من آراء في هذه المسألة التي تعد من المشاغل المنهجية الكبرى التي حظيت بنصيب وافر من مجهودات اللسانيين الغربيين))[6] هذا ويقف ثانية على مفهوم (اعتباطية اللغة)) والتي يتفق تماما مع ما طرحه عبد القاهر ((ومما يجب إحكامه الفرق بين قولنا حروف منظومة وكلم منظومة ، وذلك أن نظم الحروف هو تواليها في النطق ، وليس نظمها بمقتضى عن معنى ، ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل اقتضى ان يتحرى في نظمه لها ماتحراه ، فلو ان واضع اللغة كان قد قال(ربض) مكان (ضرب) ،لما كان في ذلك مايؤد ي الى فساد ، واما نظم الكلم فليس الامر فيه كذلك لانك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتبها بحسب ترتب المعاني في النفس فهو اذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء الى الشيء كيف جاء واتفق --))[7] وكذلك حديثة عن قول القائل (اليد نعمة) ((فلم يكن بواجب من حيث المعقول ان يكون لفظ اليد اسما للجارحة بلفظ ان يكون دليلا عليه اولى منه بلفظ، ولاسيما في الاسماء الاول التي ليست بمشتقة ،وانما وزِان اشكال الخط التي جعلت امارات الاجراس الحروف المسموعة ، في انه لايتصور ان يكون العقل اقتضى اختصاص كل شيء منها بما أختص به دون ان يكون ذلك لاصطلاح وقع وتواضع اتفق ، ولو كان كذلك لم تختلف المواضعات في الالفاظ والخطوط ، ولكانت اللغات واحدة ، كما وجب في عقل كل عاقل يحصل ما يقول ان لايثبت الفعل على الحقيقة الا للحي القادر))[8] ،وهذان النصان يضعان للقارىء الاتفاق الواضح في الاعتباطية مع دي سوسير الذي استخدم قطع الشطرنج لتوضيح نظريته ((إن القطع التي تستخدم في رقعة الشطرنج يمكن صنعها من مواد متنوعة واختيار المادة هو اختيار اعتباطي خالص ، والشيء الجوهري الوحيد هو القيمة التي تعزى الى القطع في اللعب ، ذلكم هو عين الحال في اللغة فكلمة(ماء) يعتمد الحكم بكونها اما اسما او اداة او فعلا في لغة بعينها على المعنى المرتبط بالتتابع الصوتي لكلمة(ماء) في هذه اللغة ، ولكن صيغة الكلمة في ذاتها لاتحدد

---

[1]) البنية التحتية بين عبد القاهر وجومسكي : د.خليل العمايرة : ٨٨ مج/ الأقلام ع٩/١٩٨٣م.

[2]) المصدر نفسه : ٨٨ .

[3]) المصدر نفسه : ٨٨ .

٤) عبد القاهر ودي سوسير : ٥ مجلة ل الاقلام ع١٢ – ١٩٨٣ وينظر بحوث لغوية:١٠٠

٥) اتجاهات البحث اللساني ص : ٢٢٠.

[6]) التفكير البلاغي عند العرب :د. حمادي صمود :٥٠٠.

٧) دلائل الأعجاز : ٤٩

٨) أسرار البلاغة في علم البيان : ٣٥٦

المعنى الواقعي للكلمة ....))[1] وهذايتفق مع قول (دي سوسير) ((ان الربط الجامع بين الدال والمد لول هو اعتباطي ، وببساطة اكثر يمكن القول ايضا ان العلامة الالسنية اعتباطية، وذلك لأن العلامة مجموع ما ينجم عن ترابط الدال والمدلول ...))[2] ويرى الدكتور أحمد مطلوب أن عبد القاهر وقف عند ((حروف الكلمة وترتيبها ورأى انها لاتدل على شيء قبل وضعها ، وكان بوسع الواضع ان يضع أية كلمة على أية صورة ...))[3] ، ولا يكاد المعاصرون يخرجون عن هذا المفهوم – السالف الذكر – لهذه العلاقة فالدكتور رشيد العبيدي نبه على الكلام نفسه من خلال كلام عبد القاهر عن (نظم الكلم) و (نظم الحروف)[4] ، وهو ما أكده الدكتور محمد عباس أيضا بقوله: ((إن القصد من قول (دي سوسير) (اعتباطية) هو أنه لامعنى للعلامة في ذاتها وهو تفسير يوافق عبد القاهر))[5]، وتتأتى الموافقة من خلال قول عبد القاهر ((ولامعنى للعلامة والسمة حتى يحتمل الشيء ما جعلت العلامة دليلا عليه ....))[6]، ولايغادر الدكتور الدكتور عبد العزيز حمودة المفهوم نفسه لكنه حاول تضييق المسألة من العموم الى الخصوص وهي محاولة ناتجة عن قراءة صحيحة وتتبع دقيق وان كانت في مجملها موافقة لما ذكره السابقون، فالملاحظ ان الدكتور حمودة يحصر التشابه بين الرجلين من خلال نصين يتفقان معا قائل: ((وقد استطعنا في الواقع ان نرصد نصين فقط الاول : يشير فقط باعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول ويوحي به الى طرف خفي والثاني يقدم مفهوم تلك الاعتباطية دون غموض أو مواربة ....))[7] هذا كله يؤكد دقة وجود العلاقة الاعتباطية بين عبد القاهر القاهر ودي سوسير.

وغير بعيد عن سابقيه يقف الدكتور العمايرة الموقف نفسه من مفهوم التعليق عند عبد القاهر الجرجاني وهو مواز للنظم ومن هنا يرى الدكتور العمايرة أن المخطط الجرجاني في بناء المعادلة اللغوية يتمثل بالنظم والذي يساوي التعليق وهو ما يتولد عن علم النحو (قوانين النحو ومناهجه)[8] الأمر الذي يشوبه البراهين التي تعزز رأي القائلين بهذا ولعل الدكتور عبد العزيز حموده وضح ذلك بقوله أنه يكون عند دي سوسير ((حينما يتم الربط بين هذه الوحدات المفردة داخل النسق هو الجملة الكاملة او مجموعة من الجمل قلت او كثرت هي الأنساق الصغرى التي تكون في اتحادها نسقا اكبر هو النص ، وهذا ما نسميه في نهاية الامر بالنظام اللغوي -----))[9] هذا هو مفهوم النسق عند (دي سوسير) اما عند الجرجاني فالامر مختلف اذ لا يتعدى الجملة فهو يتعامل مع السياق ففي تحليلاته غالبا ما يتناول البيت والبيتين وقلما اشار ا لى نص متكامل في البناء الفني فأسلوب الحال مثلا لايتجاوز حدود الجملة في التحليل يقول الجرجاني ((اعلم ان أول فرق بين الحال انها تجيء مفردا وجملة -----))[10] فهي لاتتعدى الجملة في أي حال من الاحوال[11] اما الفرق الاخر ان(دي سوسير) مهتم قبل كل شيء ((بطبيعة اللغة بما هي موضوع للبحث اللغوي العلمي ، أي بالكيفية التي ينبغي ان تتم بها مقاربة اللغة واستيعابها))[12] ، في حين كان عبد القاهر مشغولا بقضية الاعجاز ، والبحث عن التوظيف اللغوي في اثبات هدفه وهو الاعجاز بالنظم ،فضلا انه اهتم باللغة ووظيفتها الأدبية وليس بان يجعل منها علما كما هو الحال عند دي سوسير.

---

[1]) اتجاهات البحث اللساني : ٢١٦.

[2]) الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الأعجاز لعبد القاهر الجرجاني (ماجستير) : د. جار الله حسين دزه لي:٩

٣) عبد القاهر وسوسير :٩ مجلة الأقلام ع١٢ – ١٩٨٣ وينظر بحوث لغوية : ٩٩ ٢

[4]) ينظر الالسنية بين عبد القاهر والمحدثين : ٨ مجلة المورد مجلد ١٨ /ع٣ /١٩٨٩ .

٥) ينظر الابعاد الابداعية عند عبد القاهر الجرجاني (دراسة مقارنة): د. محمد عباس : ٢٣

[6]) اسرار البلاغة :٣٢٥ علق عليه : محمد رشيد رضا

٧) ا لمرايا المقعرة : ٢٥٨ وينظر عبد القاهر دلائل الأعجاز : ١٠٢ .

[8]) ينظر: ا لمرايا المقعرة: ٩٢.

[9]) المصدر نفسه: ٣٧١

[10]) دلائل الأعجاز: ٢٠٢

[11]) دلائل الاعجاز : ٢٢١– ٢٢٤ وتنظر القراءة المعاصرة للبلاغة العربية، ص/ ١٤٥.

[12]) اتجاهات البحث اللساني : ٢١٧– ٢١٨ ٠.

ويشير الدكتور العمايرة بعد وضع لمسات التقارب بين الجرجاني ودي سوسير من خلال تشومسكي واضعا مفهوما للبنية التحتية والتي يراها تمر((بسلسلة من قواعد التحويل قبل أن تصبح تركيبا سطحيا ...))[1] هذه التركيب ينطلق من المعنى المتمثل في البنية التحية وهي وهي الأساس في الجملة في حين يشكل الصوت / الشكل تركيبا سطحيا .[2] مؤكداً في الوقت نفسه أن(البنية العميقة والبنية السطحية) عند –تشومسكي– تمثل في كون ((الجملة بؤرة التحليل اللغوي من حيث علاقتها بالمعنى ، وحقيقتها وجهان : سطحي خارجي ظاهر ، وتحتي باطني عميق..)) [3]والمعنى يكون محصورا كما يرى الدكتور في ((بنيتها التحتية أما الشكل فأنه يتحقق في تركيبها السطحي)) رادفا كلامه بمقارنته بعبد القاهر الذي يرى انه عالج قضية البنية العميقية والسطحية من خلال أوضاع اللغة أيضا قائلا ((يرى الجرجاني أن المباني الصرفية التي تحتويها اللغة (أوضاع اللغة) وتحتاج معها الى شي آخر لتكون قادرة على جعل السامع يعرف غرض المتكلم ومقصوده ، المقصود الذي هو بالتأكيد ليس معاني الكلم المفردة ، فالكلمات وحدها لا تؤلف ضرباً خاصا من التأليف..))[4] ويفهم من ذلك ذلك ان الدكتور العمايرة يشير الى (التعليق) من خلال عملية التأليف ، إذ ان قصد المتكلم لايظهر الا من خلال التأليف الذي يمثل التعليق وسيلة في ايجاده ، والتأليف بين المفردات تحصيل حاصل في انتاج النظم وهو ما يخالف استخدام تشومسكي لمصطلح التحويل من البنية العميقة الى السطحية ، فتشومسكي يستعمل المصطلح (Transformation) ((ليحدد به أصناف القواعد التي تقوم بالعمل بعد التوصل الى المكون الخاص ببنية العبارة))[5] فهل مفهوم التحويل هذا يتناسب مع ما يقول به عبد القاهر ؟ لعل الدكتور مرتضى جواد جواد باقر هو من أجابنا من خلال تأكيده التنافر بين الاتجاهين في فهم التحويل لان ((بنية الجملة العميقة هي تركيب نحوي مجرد وانها ليست صورة دلالية للجملة ، فهذه بنية مستقلة عن بنيتها العميقة ضمن هذا التصور للقواعد ، تركيب نحوي يتألف من عناصر نحوية في حين ان البنية الدلالية للجملة تتكون من عناصر دلا لية (معنوية) أولية وما يربط بينهما من علاقات دلالية ، أما كيف يتم الربط بين البنية العميقة (النحوية) للجملة وبين بنيتها الدلالية فإن هذا كان موضع نقاش وبحث دائميين))[6] ، وبذلك يرفض الدكتور مرتضى وجود تطابق بين البنيتين ، ومما يؤكد دقة كلامه ، قول تشومسكي الذي يرى فيه أنه ((ينبغي ألا يساء فهم الملاحظات عن إمكانية وجود اعتبارات دلالية للدراسة النحوية على أنها تشير إلى دعم فكرة أن النظام القواعدي يؤسس على المعنى ، فالنظرية التي أوجزتها اعتمدت اعتمادا كليا على الشكل دون الدلالة –))[7] ويبدو أن اهتمام الرجلين بالجملة وجعلها المحور في دراستهما ما أثار حفيظة المعاصرين وشغل بالهم في احتمالية وجود تقارب بين الرجلين ، يقول الدكتور باقر : ((... وزاد من تلك الشبهة أن الجرجاني وتشومسكي يلتقيان في اتخاذهما الجملة موضوع درسهما الأساسي))[8].

---

[1]) البنية التحتية : د.خليل العمايرة : ٩١ مج/ الأقلام ع٩/١٩٨٣م.

[2]) ينظر: المصدر نفسه : ٩١.

[3]) البنية التحتية : د.خليل العمايرة: ٩٠

[4])المصدر نفسه :٩٢

[5])) اتجاهات البحث اللساني : مليكا افتش : ٣٧٩

٦) مفهوم البنية العميقة بين تشومسكي والدرس النحوي العربي: ١٢–١٣ مجلة اللسان العربي ع ٣٤ – ١٩٩٠.

٧) البنى النحوية : نعوم تشومسكي : ١٢٤

[8]) مفهوم البنية العميقة بين تشومسكي والدرس النحوي العربي:٢٧.

المصادر والمراجع

١. أسرار البلاغة في علم البيان : الأمام عبد القاهر الجرجاني تعليق محمد رشيد رضا دار المطبوعات العربية
٢. الابعاد الابداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني (دراسة مقارنة): د. محمد عباس ، دار الفكر المعاصر ، بيروت –لبنان ، دار الفكر /دمشق –سوريا ،ط١–١٤٢٠هـ–١٩٩٩م.
٣. اتجاهات البحث اللساني : مليكا أفيتش ، ترجمة :د.سعد عبد العزيز مصلوح ود.وفاءكامل فايد ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية –القاهرة –١٩٩٦م.
٤. بحوث لغوية:د. احمد مطلوب، بغداد ،١٤١٧هـ–١٩٩٦م
٥. البنى النحوية : نعوم تشومسكي : ترجمة :د. يؤيل يوسف عزيز، مراجعة : مجيد الماشطة ، سلسلة المأئة كتاب ، دار الشؤون الثقافية –بغداد ، ١٩٨٧م.
٦. التفكير البلاغي عند العرب (أسسه وتطوره إلى القرن السادس الهجري (مشروع قراءة):د. حمادي صمود،منشورات الجامعة التونسية – تونس ، سلسلة الفلسفة والآداب /مجلد ١٩٨١م.
٧. التناصية (أنجيو):ليون سُمفل ، ضمن (دراسات في النص والتناصية) ترجمة : د. محمد خير البقاعي ، مركز الأنماء الحضاري ، حلب –١٩٩٨م.
٨. الخطيئة والتكفير –د. عبد الله الغذامي –النادي الأدبي الثقافي –جدة السعودية1985– م.
٩. دلائل الأعجاز : الأمام عبد القاهر الجرجاني تعليق محمد محمود شاكر مكتبة الخانجي ط٥–٢٠٠٤م.
١٠.طروس الأدب على الأدب (جيرار جنيت):ليون سُمفل ، ضمن (دراسات في النص التناصية) ترجمة : د. محمد خير البقاعي ، مركز الأنماء الحضاري ، حلب –١٩٩٨م.
١١. قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني :د.محمد عبد المطلب ،الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان– القاهرة ،ط١–١٩٩٥م.
١٢.المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك" الذي أصدرته سلسلة "عالم المعرفة" الكويتية، في العدد (٢٣٢)، الذي صدر في ذي الحجة ١٤١٨هـ–إبريل ١٩٩٨م ؟؟؟
١٣.المرايا المقعرة (نحو تأسيس نظرية عربية نقدية):د.عبد العزيز حمودة عالم المعرفة – الكويت.
١٤.المرايا لمحدبة (من البنوية الى التفكيك) :د.عبد العزيزحمودة سلسلة كتب ثقافية شهرية ، الكويت –١٩٧٨م.
١٥.المشاكلة وألأختلاف (قراءةفي النظرية النقدية العربية وبحث في التشبيه المختلف) :د.عبد الله الغذامي :المركز الثقافي العربي –بيروت–ط١–١٩٩٤م.

الـدوريات

١. الالسنية بين عبد القاهر والمحدثين د. رشيد العبيدي، مجلة المورد مجلد ١٨ /ع٣ /١٩٨٩ .
٢. البنية التحتية : د.خليل العمايرة ، مج/ الأقلام ع٩/١٩٨٣م.
٣. التّفكيكيّة والنّقد العربيّ الحديث ـ د. غسان السيّد مجلة الموقف الأدبي - مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق – العدد ٤٢٦ تشرين الأول2006

٤. ديفيد أليسون، مقدمة كتاب "الصوت والظاهرة"، ص.I-xxxvii نقلا عن جاك دريدا ، ونظرية التفكيك..: خالدة حامد تسكام:مجلة الآداب الاجنبية – مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق – العدد ١٠٤
٥. عبد القاهر ودي سوسير : د.احمد مطلوب مجلة ل الاقلام ع١٢ – ١٩٨٣ .
٦. هل كـان فرديناند دو سوسير بنيويا ؟: جوناثان كلر/ترجمة:حربي محسن عبد الله جريدة المؤتمر : العدد ١٠٤١ في ٢٣ كانون الثاني ٢٠٠٦.
٧. قراءة نقدية في كتاب المرايا المقعرة للدكتور عبد العزيز حمودة ـ د. أحمدعلي محمّد جريدة الاسبوع الادبي / دمشق– العدد ٨٠٦ تاريخ4/5/2002
٨. نظرية التناص صك قديم لعملة قديمة–حسين جمعة :مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق –المجلد (٧٥) ج (٢) .

المراجع الأجنبية

١. Hans- (Donaldg.marshall.2nd,ed(new york: crossroad,1989),pp.302-3.١ GeorgGadamar,Truth and method .trans.Joel weinshemer and

مواقع الانترنيت

١. العلامة في اللسانيات : نورية الشيخلي ينظر الموقع:
http://rds.yahoo.com/_ylt=A0oGklYDNFdG1EoBqIdXNyoA;_ylu=X3oDMTE5OTAzbXRuBHNlYwNzcgRwb3MDNQRjb2xvA3cEdnRpZANNQVAwMDdfMTAzBGwDV1Mx/SIG=12uhcl8vb/EXP=1180206467/**http%3a//www.aljahidhiya.asso.dz/Revues/tebyin_20/Elalama_fiellisaniyate.htm .
٢. موقع صخر: http://thaqafa.sakhr.com/motanaby/manaheg/0027.asp

الرسـائل الجامعية

١. الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الأعجاز لعبد القاهر الجرجاني – دراسة دلالية –: جار الله حسين دزه لي ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب / جامعة صلاح الدين / أربيل ،١٤١٦هـ– ١٩٩٦م.